وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مُحَمَّد خيضر – بسكرة –
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة: الانثروبولوجيا

مطبـــــــــــوعـة:

مدخل الى الانثروبولوجيا

موجهة الى طلبة السنة الاولى جذع مشترك علوم اجتماعية

من اعداد:

الدكتور: **الطيب العماري**

السنة الجامعية *2023 – 2024*

الوحدة الاساسية :

مقياس : مدخل الى الانثروبولوجيا

اهداف التعليم :

ان يتعرف الطالب على الانثروبولوجيا و علاقتهما بالعلوم الاخرى

كما يتعرف على الدراسات الانثروبولوجية

– المعارف المسبقة المطلوبة :

– ان يكون للطالب بعض المعلومات التاريخية و الفلسفية التي درسها خلال المرحلة الثانوية

- محتوى المادة:

المحور الأول: مفهوم علم الانثروبولوجيا وموضوعها:

– مفهوم علم الانثروبولوجيا

– موضوع الانثروبولوجيا

– الانثروبولوجيا – الاثنولوجيا – الاثنوغرافيا .

–خصائص الانثروبولوجيا

المحور الثاني: علاقة علم الانثروبولوجيا بالعلوم الاخرى:

- الانثروبولوجيا و الفلسفة
- الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع
- الانثروبولوجيا وعلم النفس
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم السكان
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التاريخ
- علاقة الانثروبولوجيا بعلم الآثار
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغويات
- علاقة الانثروبولوجيا بعلم التشريح والأعضاء والوراثة
- علاقة الانثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا
- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التربية
- علاقة الأنثروبولوجيا بطب المجتمع

- الانثروبولوجيا و الجغرافيا
- الانثروبولوجيا و علم الاقتصاد

المحور الثالث: ميادين علم الأنثروبولوجيا وفروعه:

- الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية
- الأنثروبولوجيا الاجتماعية
- الأنثروبولوجية الثقافية
- الأنثروبولوجيا النفسية
- الأنثروبولوجيا السياسية
- الأنثروبولوجيا الحضرية
- أنثروبولوجيا التنمية
- الأنثروبولوجيا البدوية

المحور الرابع: تاريخ الانثروبولوجيا

- عند الاغريق واليونان والرومان
- الحضارة العربية الاسلامية
- اوروبا في عصر النهضة والتنوير وتبلور الفكر الانثروبولوجي
- نشأة الانثروبولوجيا
- من علم الاجتماع الى الانثروبولوجيا
- الانثروبولوجيا التقليدية : الموضوع و الهدف

المحور الخامس : الاتجاهات و التيارات النظرية في الدراسات الانثروبولوجية: (مدارس الأنثروبولوجيا):

- التيار التطوري
- التيار الانتشاري التاريخي
- التيار الوظيفي
- التيار الثقافي

المحور السادس: الانثروبولوجيا الحديثة : (اهميتها ونظرياتها):

- الانثروبولوجيا الحديثة : الموضوع و الهدف
- نظرية الاتصال الثقافي (التثاقف والمثاقفة)
- النظرية التطوّرية الجديدة
- الاتّجاه التطبيقي
- النظرية المعرفيّة
- اهمية الانثروبولوجيا في العصر الحالي
- النظريات الأساسية في علم الانثروبولوجيا

المحور السابع: الدراسات الانثروبولوجية في الوطن العربي و الجزائر

المحور الثامن: منهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي

الملاحــق

قائمة المراجع

طريقة التقييم : امتحان كتابي في نهاية السداسي بالنسبة للمحاضرات

تقييم متواصل خلال السداسي بالنسبة للأعمال الموجهة .

المحور الرابع: تاريخ الانثروبولوجيا

ورغم حداثة الأنثروبولوجيا ، التي لم تتبلور كدراسة متخصصة ، وعلم مستقل عن العلوم الاجتماعية إلا في أواخر القرن التاسع عشر، فإن وصف ثقافات الشعوب والحضارات الإنسانية ، وعقد المقارنات بينها قد جذبا انتباه كثيرا من المفكرين والكتاب منذ قديم الزمان ، لقد حاول كثيرون عبر التاريخ تقديم الملاحظات الخاصة بالطبيعة الإنسانية ، والوجود البشري ، كما افترضوا بعض التفسيرات بصدد الاختلافات القائمة بين الشعوب سواء في النواحي الجسمية ، أو في التقاليد والعرف والمعتقدات . فقد لعبت الحروب والرحلات التجارية ، منذ عصور ما قبل الميلاد ، دورا هاما ، ولاشك في حدوث اتصال بين الشعوب واكتساب معرفة الواحد بالآخر ، خاصة فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات ويعتبر مؤرخو الأنثروبولوجيا تلك المعرفة بمثابة جذور أولية للدراسات الاثنوجرافية التي تشكل قاعدة هامة للمقارنة بين النظم الاجتماعية و التنظير بصدد تطورها عبر التاريخ الإنساني[1] .

عند الاغريق واليونان والرومان:

ان الشواهد الأولى لجذور المادة الوصفية لشعوب المجتمعات القديمة جاءت في كتابات عدد من الكتاب الإغريقيين مثل الشاعر اليوناني هوميروس *homer* الذي عاش خلال القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد وصاحب ملحمتي الإلياذة *liad* و الأوديسية ، ونذكر أيضا المؤرخ اليوناني هيرودوتس *heredotus* الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، والذي يعتبره معظم كتاب تاريخ الأنثروبولوجيا أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ ، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان قد جمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية ، حيث تناول تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية .ففي كتاب التواريخ حرص هيرودوتس على تقديم كل ما يستحق التسجيل عن التاريخ الإنساني حتى زمانه ، فقد قدم معلومات في تسعة فصول عن حوالي خمسين شعبا من خلال رحلاته وقراءاته ، إلى جانب وصفه الدقيق للحرب التي دارت بين الفرس والإغريق إبان القرن السادس قبل الميلاد .

---

[1] حسين فهيم: **قصة الانثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الانسان** ، سلسلة دار المعرفة ، العدد 98 ، 1990 ، ص 33

وجاء وصفه لمصر أيضا دقيقا وشيقا ، وهو صاحب العبارة الشهيرة القائلة بأن " مصر هبة النيل " ولا تحمل هذه العبارة أهمية كبيرة من صحتها فحسب وإنما هي دلالتها وصلتها بالاتجاه الفكري الذي ساد في عصور لاحقة من حيث ربط البيئة بالتقدم الحضاري.

ومن الطريف أن نذكر أيضا أن هذا المؤرخ الإغريقي ، كان أول من جاء بوصف دقيق عن قبائل البدو بليبيا من ناحية أصولهم العرقية وطريقة حياتهم و مع ذلك فقد استطاع هيرودوتس في ذلك الوقت المبكر من الفكر الإنساني ، أن يطرح فكرة وجود تنوع بين الشعوب في النواحي الثقافية و اللغوية والسلالية والدينية ، نجده أيضا قد وصف لنا الكثير من المظاهر المتعددة للحياة اليومية عند بعض الشعوب مثل ما يتصل بالبيئة والملبس والمأكل والطب وعادات الزواج والتقاليد المصاحبة لها ، ونظرا لما حظي به وضع المرأة في المجتمع من اهتمام كبير في الحضارة اليونانية فقد انعكس ذلك في كتابات هيرودوتس.

وبصدد وصفه اقتباس الشعوب بعضها من بعض ، وهو موضوع اهتم به الأنثروبولوجيون فيما بعد في دراساتهم عن انتشار عناصر الثقافة ، كتب هيروتوس أن الإغريق قد أخذوا عن الليبيين الثياب والغناء ، والعربات وبعض الممارسات الطقوسية[2] .

ويرى كثير من الأنثروبولوجيون أن منهج هيرودوتس في وصف ثقافات الشعوب يحمل في طياته إلى جانب الوصف العام لمظاهر حياة الشعوب وبعض النظم الاجتماعية بعض أساسيات المنهج الأثنوجرافي المتعارف عليه في وقتنا الحالي ، فالأنثروبولوجيون الدارسون لأساليب حياة الجماعات الإنسانية يركزون على الدراسة الحقلية ، أو الإتصال المباشر بالجماعات أو الشعوب موضع الدراسة والتفرقة بين ما يشاهدون وبين ما يقال لهم علاوة على فحصهم أحاديث الإخباريين في إطار الواقع المشاهد ، هذا فضلا عن إجراء المقارنات كلما تيسر لهم ذلك ، وفي هذا الصدد ، فقد أبرز هيرودوتس بجلاء وإسهاب ، الفروق القائمة بين المصريين واليونانيين مثلا ولكنه لم يصف اسلوب حياة المصريين بالغرابة أو الشذوذ[3] .

---

[2] حسين فهيم، مرجع سابق ، ص34 – 38.

[3] نفس المرجع ، ص37

إن الدارس لأعمال الفلاسفة اليونانيين ليصل إلى معلومة طريفة ذات صلة بالفكر الأنثروبولوجي وهي أن اليونانيين قد أخذوا الكثير من الحضارات التي سبقتهم ، حيث امتزجت فلسفتهم بالحضارة المصرية القديمة ، وتمخض عنها ما يعرف في التاريخ باسم " الحضارة الهيلينية " تلك الحضارة التي سادت و ازدهرت خلال القرون الثلاثة السابقة على مولد المسيح ،كذلك نجد أن أرسطو (348-322 ق.م) كان من أوائل المفكرين الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية وذلك من خلال ملاحظاته وتأملاته في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان ،كما ينسب إليه أيضا توجيه الفكر نحو وصف وتحليل نشأة الحكومات وأشكالها وأفضلها ، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والانسانية .

وبانتقالنا إلى عصر الإمبراطورية الرومانية ، الذي امتد حوالي ستة قرون نجد الرومان قد تابعوا ما طرحه اليونانيون من قضايا حول طبيعة المجتمعات الانسانية وتفسير التباين بينها ، إلا أنهم نبذوا التجريد ووضع النماذج المثالية لما يجب أن تكون عليه سبل الحياة الإنسانية ، ووجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس ، ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره بمثابة إسهامات أصيلة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافاتهم وتقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات باستثناء ما جاء في اشعار كاروس لوكرتيوس *Lecetius (55-98 ق.م)* حيث تحدث عن الإنسان الأول ، والعقد الاجتماعي ونشأة اللغة ونظامي الملكية والحكومة إلى جانب مناقشة للعادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى . ويرى بعض الأنثروبولوجيون أن لوكرتيوس استطاع أن يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم حديدية وتلك أفكار لا تختلف كثيرا عما قدمه الأركيولوجيين ، فيما بعد بحوالي تسعة عشر قرنا وقد رأى أن البعض الآخر في فكر لوكرتيوس تطابقا مع فكر لويس مروجان *L.Morgan (1818-1881)* أحد أعلام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر وذلك من حيث رؤية التقدم والانتقال من مرحلة إلى أخرى في إطار حدوث طفرات مادية وإن كانت ترد في النهاية إلى عمليات و ابتكارات عقلية .

يبدو لنا إذن ، أنه فيما عدا أشعار كولوتيوس وما احتوتها من أفكار خاصة بالكون والنشأة والتطور فمن الصعب أن ننسب نشأة علم الأنثروبولوجيا إلى الفكر الروماني القديم كما هو الوضع أيضا بالنسبة

لليونانيين فيما عدا أعمال هيرودوتس ، وبغض النظر عن اتجاه اليونانيين الفلسفي أو اهتمام الرومان بالواقع كما سبق لنا أن أشرنا ، فكلاهما قد ربط بين السلالات البشرية وبين إمكانية التقدم والحركة الحضارية ووجدوا في أنفسهم امتياز وأفضلية على بقية الشعوب ، فاليونانيون " كانوا يرون أنفسهم أفضل الأمم وأذكاها وأشرفها ، وأن بقية الخلق همج ، أما الرومان فقد جعلوا الروماني فوق غيره بحكم القانون"[4] .

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه بينما كانت أوروبا تعيش ما يطلق عليه تاريخيا " بفترة العصور الوسطى المظلمة" وازدهرت حضارتان رئيسيتان خارج القارة الأوربية وهما " الحضارة البيزنطية " والحضارة الإسلامية " ورغم أن الحضارة البيزنطية هي في أساسها مسيحية غربية ، إلا أن انتقالها من غرب أوربا إلى الشرق قد أكسبها الكثير من الخصائص الحضارات القديمة والتراث الشرقي ، وقد عمت الحضارة البيزنطية جهات متعددة مثل سوريا وآسيا الوسطى وفلسطين ومصر ، كما تأثرت أيضا بالحضارة اليونانية لدرجة أن اللغة اليونانية أصبحت هي اللغة المتداولة وبصفة عامة " ازدهرت الحضارة البيزنطية وتفوقت كثيرا على الحضارة الرومانية التي سادت في غرب أوروبا لعدة قرون قبل أن تتدهور وتنتهي باجتياح القبائل الجرمانية التي كانت عاصمتها الغربية (روما) حيث أشاعت الفوضى وأفشت الجهالة[5]

الحضارة العربية الاسلامية:

وهي فترة تمتدّ من منتصف القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً. حيث انتشر فيها الإسلام في معظم بقاع العالم ، وتشكلت معها معالم الحضارة العربية الإسلامية آنذاك وعرفت ازدهارا كبيرا. وقد مست هذه الحضارة مختلف العلوم كالآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، واثرت في جميع نواحي الحياة كالسياسية والاجتماع والعلاقات الدولية .

وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم[6] .

---

[4] حسين فهيم: **مرجع سابق** ، ص38-39 .

[5] حسين فهيم: **مرجع سابق** ، ص42.

[6] عيسى **الشماس** ، **مرجع سابق** ، **ص24**

ومن العلوم التي تفوق برز فيها العرب علم الجغرافيا، التي بلغت أوج نضجها في القرن الرابع الهجري (التاسع الميلادي) حيث أخذت العناية بالجغرافية تتبلور حول دراسة الأقاليم والمناطق دراسة وافية ، فمنهم من اهتم بتقديم وصف عام للأقاليم الإسلامية مثل ما جاء في كتاب شمس الدين القدسي بعنوان " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "

بالإضافة الى الرحالة "علي بن الحسين المسعودي" . الكاتب الموسوعي . والرحالة ، والمؤرخ الاجتماعي ، الذي كان على حد وصف نقولا زيا " يسير في البلاد مفتوح العين والأذن ، طلعة العقل والفكر ، كثير التساؤل وبذلك أتيح له أن يدرك من أحوال هذه الدنيا وتطور شعوبها وشيعها ما لم يتح لكثير من معاصريه "[7] .

ويعتبر مؤلفه الشهير " مروج الذهب ومعادن الجوهر" الذي دونه حوالي سنة *330 هـ/912 م"* كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلم و ملاحظة وأخبار وأساطير " ويحتوي الجزء الأول منه بصفة خاصة على ما يمكن أن يشار إليه بأنه ذو صلة وثيقة بمسائل أنثروبولوجية أساسية ، وذلك لما ورد فيه من وصفه للخليقة ، وعرضه للأديان والعادات والمذاهب . ففي الجزء الثاني من مؤلفه نجده يشير إلى تأثير البيئة على الإنسان فيذكر أن " سحب الشام ومرتفعاتها ورياحها تحسن الجسم وتصفي اللون وإن كانت تبلد العقل وتجفي الطبع .

أما حرارة مصر وركود هوائها فتكدر الألوان وتخيب الفطن، والمغرب يقسي القلب ويوحش الطبع ، ويذهب بالرحمة والجبال في (همدان أو عراق العجم) تخشن الأجسام وتبلد الأفهام لغلظ التربة وتكاثف الهواء ، أما العراق ، سرة الأرض وقلبها ، حيث وقف الاعتدال ، فصفت أمزجة أهله ، ولطفت أذهانهم ، واحتدت خواطرهم ، فهو مفتاح الشرق ومناره . وإذا كان المؤرخين يطلقون على المسعودي لقب شيخ الرحالة العرب فهناك شخصية عربية أخرى يشتهر صاحبها " وهو ابن بطوطة " بأنه سيد رحالة عصره على الإطلاق ، أي في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) ولرحلات ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع الأنثروبولوجي برزت اهتمامه الكبير بالناس ووصف حقائق دقائق حياتهم اليومية وطابع شخصياتهم وسلوكهم وقيمهم . إن إقامة ابن بطوطة بجزر " ذيبة المهل "

---

[7] حسين فهيم: **مرجع سابق** ، ص 44

جزر الملديف " لمدة عام ونصف واشتغاله بالقضاء فيها ، وتزوجه من امرأتين هيأت له معرفة وافية بحياة أهل تلك الجزر .

ومن بين هؤلاء الرحالة من تخصص في إقليم معين مثلما فعل " الهزائي" في "وصفه جزيرة العرب " والبيروني *(362 هـ -440 هـ)* في وصفه للمجتمع الهندي . و ابن فضلان من أهل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الذي ذهب إلى ملك البلغار ، و الروس الذين كانوا يتاجرون معهم ، وكتب عنهم مؤلفات غنية بالمعلومات الأثنوجرافية والمعرفة الجغرافية[8] .

كما برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي. وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل " مسالك الأمصار " لإبن فضل الله العمري، و " نهاية الأرب في فنون العرب " للنويري .

وإلى جانب اهتمّام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران ، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية[9] .

وعلى سبيل الإيضاح نشير هنا إلى كتاب البيروني عن الهند ، لما حظي به من شهرة كبيرة في الدوائر العلمية الأوروبية ، ولما احتواه من مادة أثنوجرافية هامة ، ففي هذا الكتاب الذي حمل عنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " وصف البيروني المجتمع الهندي من ناحية نظمه الدينية والاجتماعية ، وأنماطه الثقافية ، كما اهتم أيضا بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس .

وقد أبرز البيروني حقيقة "أن الدين يلعب الدور الرئيس في تشكيل الحياة الهندية وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات ، وصياغة القيم و المعتقدات" .

كما أوضح البيروني كيف أن الهنود يعتقدون في قوة موجودة وجودا حقيقيا لا تدرك بالحس ، وإنما تعقلها النفس ، وتحيط بصفاتها الفكرة التي يسمونها " أيشف" وهي معبودهم الذي خلقهم وخلق الكون ،

---

[8] حسين فهيم: **مرجع سابق** ، ص44- 48

[9] عيسى **الشماس** ، **مرجع سابق** ، **ص24**.

وسوف نجد أن البيروني قد عرض أيضا لفكرة " البناء الإجتماعي الذي وصفه في فضل بعنوان " في ذكر الطبقات التي يسمونها ألوانا وما دونها" أوضح كيف أن المجتمع الهندي يسود فيه النظام الطبقي المغلق ، و لم يقتصر وصف البيروني على تلك الجوانب الدينية والاجتماعية . وإنما تناول علاوة على ذلك اللغة الهندية وقارنها باللغة العربية ، وقد قسم اللغة الهندية إلى كلام دارج ومبتذل يستخدمه السوقة ، وإلى مضمون فصيح يتعلق بالتصاريف والاشتقاق، ودقائق النحو والبلاغة لا يرجع إليه إلا " الفضلاء المهرة أو من يسمون الآن بالخاصة "[10] .

وفي اواخر القرن الرابع عشر الميلادي برز العلامة عبد الرحمان بن خلدون

(732 هـ-808هـ)/1332 م-1406 م) الذي يعد اول من أرسى قواعد المنهج لدراسة المجتمع وطبيعة العمران البشري ودورة الحضارات وسبق في ذلك بقرون عديدة فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع والأوربيين ، **لقد نال كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " فقد نال شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقدّمته الرئيسة وعنوانها : " في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب ". وتعتبر هذه المقدّمة عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولا سيّما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كلّ ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة. وقد شكّلت موضوعات هذه المقدّمة – فيما بعد – اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية**[11].

ومن أهمّ الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدّمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية. فقد ردّ ابن خلدون – استناداً إلى تلك الدعامة – اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسيّة وصفاتهم الجسمية والخلَقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً هاماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية. كما تناول ابن خلدون في مقدّمته أيضاً، مسألة قيام الدول وتطوّرها وأحوالها، وبلور نظرية (دورة العمران) بين البداوة

---

[10] حسين فهيم: **المرجع السابق** ، ص 50.

[11] حسين فهيم: **المرجع السابق** ،ص 52.

والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي.

وقد سيطرت هذه الفكرة على أذهان علماء الاجتماع في الشرق والغرب – على حدّ سواء – في العصور الوسطى .. حيث اعتبر ابن خلدون أن التطوّر هو سنّة الحياة الاجتماعية، وهو الأساس الذي تستند إليه دراسة الظواهر الاجتماعية.

يقول في ذلك : " إنّ أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ، وإنّما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول. فعمر الدول عند ابن خلدون كعمر الكائن البشري، تبدأ بالولادة وتنمو إلى الشباب والنضج والكمال، ثمّ تكبر وتهرم وتتلاشى إلى الزوال[12] .

لقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمرّ بها، فكان بذلك، أسبق من علماء الاجتماع في أوروبا. ولذلك، يرى بعض الكتّاب والمؤرّخين، أن ابن خلدون يعتبر المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع، بينما يرى بعضهم الآخر، ولا سيّما علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون، في مقدّمة ابن خلدون بعضاً من موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها .وفي أمريكا، أشار /جون هونجيمان / أيضاً في كتابه " تاريخ الفكر الأنثروبولوجي " إلى أنّ ابن خلدون تناول بعض الأفكار ذات الصلة بنظرية / مارفين هاريس / عن " المادية الثقافية " ونجد أنّ / هاريس / ذاته، يذكر أنّ ابن خلدون ومن قبله الإدريسي، قدّما أفكاراً ومواد ساعدت في بلورة نظرية الحتمية الجغرافية، التي سادت إبّان القرن الثامن عشر.

وهذا وقد نال كتاب ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب فالعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " شهرة كبيرة بسبب مقدمته الرئيسية والتي جاء عنوانها " في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش و المصانع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب " وتعتبر هذه المقدمة عملا أصيلا في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال قارة إفريقيا بما لها من تقاليد وعادات وعلاقات اجتماعية إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كل ما

---

[12] عيسى **الشماس المرجع السابق ،ص 25.**

رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة ، وقد كتب الكثير ولا يزال يكتب عن هذا العمل الفريد الذي يصفه مؤرخ له مكانته مثل المؤرخ أرنولد توينبي *Toynbee* بأنها (يقصد المقدمة) أعظم عمل من نوعه أمكن لأي عقل أن يوجد بمثله في أي عصر أو أي مكان .

وهنا يستحق ابن خلدون منا وقفة ، ولو قصيرة وفي ذلك الإطار عرضنا لقصة الأنثروبولوجيا . إذ أنه تطرق في مقدمته إلى موضوعات شكلت فيما بعد اهتمام رئيسا في الدراسات الأنثروبولوجية ، ولعل من أهم تلك الموضوعات كما يشير إلى ذلك الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد ، أن ابن خلدون انتبه منذ قرون إلى مبدأ العصبية وأهمية في فهم المجتمع القبلي .

وكما أوضح ابن خلدون في تناوله لمبدأ العصبية " أن التنظيم الاجتماعي الخاص يقوم على مبدأ قرابة الدم الذي يحدد الولاءات والعصبية حتى تكاد القبلية تشمل مجتمعا قائما بذاته ، ولذاته خلال تاريخ طويل ، فقد تحدث ابن خلدون أيضا عن تنوع أنماط المعيشة وما يرتبط به من تباين حضاري ، ويقول في هذا الشأن " أن إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي والقارئ للمقدمة سيجد أن ابن خلدون لم يكتف بتقديم وصف تفصيلي عن السمات والقيم السائدة لدى تلك الأنماط المعيشة الثلاثة (البداوة والفلاحة والحضارة و إنما قارن بين تلك السمات وبحث في طبيعة العلاقة بينهم[13].

ومن الموضوعات الأخرى التي تناولها ابن خلدون في مقدمته والتي لها صلة بالاهتمامات الأنثروبولوجية في الماضي والحاضر ، على حد سواء تلك العلاقة القائمة بين البيئة الجغرافية وشؤون الاجتماع وكما يذكر لنا **علي عبد الواحد وافي** في تحقيقه القيم " مقدمة " ابن خلدون اعتبر البيئة الجغرافية دعامة هامة لمختلف الظواهر الاجتماعية وأنه تناول هذا الموضوع في أربع مقدمات من الباب الأول حيث بدأ بعرض عام لجغرافية العالم بالقدر الذي وصلت إليه بحوث هذا العلم في عصره ثم شرح آثار البيئة لجغرافية العالم ، بالقدر الذي وصلت إليه بحوث هذا العالم في عصره ثم شرح آثار البيئة الجغرافية في مختلف الظواهر الفردية والاجتماعية وكما رد ابن خلدون اختلاف البشر في ألوانهم ومزاجهم النفسي

---

[13] حسين فهيم: **المرجع السابق** ،ص53.

وصفاتهم الجسمية والخلقية إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضا عاملا هاما في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية ففي المقدمة الثالثة من الباب الأول كتب ابن خلدون فصلا بعنوان " في المعتدل من الأقاليم والمنحرف و تأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم [14].

وإلى جانب تلك الموضوعات نجد ان هناك تشابها إلى حد كبير بين ما جاء في قواعد منهج ابن خلدون في البحث وعرض الحقائق ، وبين ما يدعو إليه الأنثروبولوجيون المحدثون في دراستهم وكتاباتهم عن ثقافات الشعوب والتعميمات بشأنها وعن منهج ابن خلدون يكتب الدكتور **علي عبد الواحد وافي** أن ابن خلدون اعتمد في بحوثه " على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها ، وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا حياة بين أهلها ، والموازنة بين هذه الظواهر جميعا ، والتأمل في مختلف شؤونها للوقوف على طبائعها ، وعناصرها الذاتية وصفاتها وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات ، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض ، والعلاقات التي تربطها بما عداها من الظواهر الكونية و عوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور ، ثم الانتهاء من هذه الأمور جميعا إلى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر في مختلف شؤونها من قوانين "

أما من ناحية الفكر النظري ، فقد سبق ابن خلدون مفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في بلورة نظرية متكاملة عن مراحل تطور الحضارة الإنسانية ، والمسار الذي يحكمها ، والدراسات المقارنة المتصلة بها وهو الموضوع الذي شغل الفكر الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وفي حقيقة الأمر أن فكرة تغير الزمان والأشياء وتحولها قديمة قد الوجود الإنساني ذاته إلا أن اليونانيين مثلا نظروا إلى ظاهرة التغير والتحول هذه وفسروها في إطار فلسفي يقوم على الحركة في اتجاه واحد يربط بين الحياة والموت ، وصل الأشياء بعضها ببعض أما العرب فقد رأوا في قيام الدول وتداعيها مدعاة لربط حياة المجتمعات الإنسانية بحياة الكائن الحي من حيث مروره بمراحل العمر المختلفة من الولادة حتى الممات ، وبهذا برزت فكرة دورة الحياة والموت عند الكائن الحي لتجد مجالات للتطبيق على الدول أو الحضارات

---

[14] **نفس المرجع**، ص54.

الإنسانية ومن الطريف أن نجد تشابها بين هذا المنطلق والنظرة إلى التاريخ الإنساني عند الفرس والرومان أيضا .

إن ابن خلدون قد تناول في مقدمته مسألة أطوار الدول من ناحية قيامها ثم ما يجري عليها بعد ذلك من أحوال وبلور نظرياته التي اسماها بدورة العمران بين البداوة والحضارة على أساس المشابهة بين الجماعة البشرية وبين الكائن الحي تلك فكرة سيطرت على الأذهان في الشرق والغرب على حد سواء خلال العصور الوسطى ، فالتطور هو سنة الحياة الاجتماعية ، إذ يقول " إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول تتلخص نظرية ابن خلدون عن أطوار الدول رأيه أن كل دولة تسير في خمسة أطوار تبدأ عادة بالاستيلاء على الملك من دولة سالفة ، وهذا الطور الأول هو طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع – على حد قوله – ويعقب ذلك طور استبداد الحاكم على قومه ثم طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك ، أم الطور الرابع فهو " طور القنوع والمسالمة " ويعقبه طور الإسراف والتبذير الذين تكمن فيهما نهاية الدولة حيث تحصل في الدولة طبيعة التهرم ، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ، ولا يكون لها معه برء ، أي أن تنقرض على حد تعبير ابن خلدون وهكذا تنتهي أطوار الدولة لتبدأ من جديد دولة أخرى على أنقاض الدولة السالفة .

هذا وقد خضعت مقدمة ابن خلدون بصفة عامة ، ونظريته عن دورة الدول بصفة خاصة التحليلات المستفيضة بأقلام المفكرين والدارسين العرب والأجانب على حد سواء.

إن نظرية ابن خلدون عن التطور الاجتماعي تعتبر ولا شك واحدة من أهم المحاولات المنهجية للوصول إلى القوانين التي تحكم مسار الحياة الاجتماعية للجماعات الانسانية ، وهذا أمر شغل بال المفكرين لقرون عدة بعد ابن خلدون ، حتى تبلورت الأنثروبولوجيا ذاتها كعلم مستقل حول بحث قضية الثقافات أو الحضارات الإنسانية ومسارها (التقدمي)[15] .

---

[15] حسين فهيم: **المرجع السابق** ، ص 55 – 57 .

اوروبا في عصر النهضة والتنوير وتبلور الفكر الانثروبولوجي:

يتّفق المؤرّخون على أنّ عصر النهضة في أوروبا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية ، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر (الشماس ص 26) الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر .

إنّ هذه التغيّرات مجتمعة أدّت إلى ترسيخ عصر النهضة أو ما سمّي (عصر التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الانثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر، كعلم يدرس تطوّر الحضارة البشرية في إطارها العام وعبر التاريخ الإنساني. الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات، والتعرّف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطوريّة معيّنة، بحيث يضع ذلك أساساً لنشأة علم الأنثروبولوجيا .

لقد شهد عصر الاكتشافات الجغرافية فورة من الاهتمام في أنواع جديدة من المجتمعات التي اكتشفها المكتشفون . ونحن اليوم نذكر بأحفاد تلك الشعوب التي ظلت تعيش في مواطنها ، ولم تكن جديدة ، إلا بالنسبة للغرباء الذين ظلوا قرونا يجهلون وجودها ، ولقد اعتاد المكتشفون والمستعمرون أن يعتبروا أن من الأشياء المسلم بها أن شعوبهم هي المقياس الذي تقاس به الشعوب ، ولذا فقد كانوا يسألون للتو " لماذا كانت الشعوب الأخرى تختلف عنا إلى هذا القدر[16] ؟.

ولعلّ أهمّ رحلة أو(رحلات) استكشافيّة مشهورة أثّرت في علم الأنثروبولوجيا، ما قام بها / كريستوف كولومبوس /إلى القارة الأمريكية ما بين (1492- 1502) حيث زخرت مذكّراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتّسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة .

وممّا قاله في وصف سكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي : " إنّ أهل تلك الجزر كلّهم عراة تماماً، الرجال منهم والنساء، كما ولدتهم أمَّهاتهم. ومع ذلك، فثمّة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهنّ

---

[16] لويس مير : **مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية** : ترجمة شاكر مصطفى سليم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، العراق ، (د.س.ط) ، ص 28.

بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف تصنع لهذا الغرض. ليست لديهم أسلحة ومواد من الحديد أو الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أيّة حال. ولا يرجع السبب في ذلك إلى ضعف أجسادهم، وإنّما إلى كونهم خجلون ومسالمون بشكل يثير الإعجاب.. "

وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين : " إنّهم يتمتّعون بحسن الخَلق والخُلُق، وقوّة البنية الجسدية. كما أنّهم يشعرون بحرية التصرّف فيما يمتلكون، إلى حدّ أنّهم لا يتردّدون في إعطاء من يقصدهم أيّاً من ممتلكاتهم، علاوة على أنّهم يتقاسمون ما عندهم برضى وسرور .."

وهكذا كان لرحلات كولومبس واكتشافه العالم الجديد (أمريكا) عام *1492* أثرها الكبير في إدخال أوروبا حقبة جديدة، وفي تغيير النظرة إلى الإنسان عامة، والإنسان الأوروبي خاصة، ممّا أثّر بالتالي في الفكر الأنثروبولوجي. وذلك، لأنّ هذه الاكتشافات الجغرافية وما تبعها من معرفة سكان هذه الأرض بميزاتهم وأنماط حياتهم، أظهرت بوضوح تنوّع الجنس البشري، وأثارت كثيراً من المسائل والدراسات حول قضايا النشوء والتطوّر عند الكائنات البشرية.

لقد تميّز عصر النهضة الأوروبية، بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان، وهي أنّ المفكّرين اتفقوا، على الرغم من تباين وجهات نظرهم، على مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها، وتكوين الطبيعة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية.

وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتّجاه لدراسة الإنسان، عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضى دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتّجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية/ التطوّرية للإنسان . مما أسهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي، وأدّى بصورة تدريجية إلى بلورة البدايات النظرية للأنثروبولوجيا، خلال عصر التنوير .

أمّا بالنسبة للدراسات الأثنوجرافية (دراسة أسلوب الحياة والعادات والتقاليد) والدراسات الأثنولوجية (دراسة مقارنة لأساليب الحياة للوصول إلى نظرية النظم الاجتماعية)، والدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، فثمةّ أعمال كثيرة قام بها العديد من العلماء .

وقد تكون محاولة الرحالة الإسباني (جوزيه آكوستا *J. Acosta*) في القرن السادس عشر، لربط

ملاحظاته الشخصيّة عن السكان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، المحاولة الأولى لتدوين المادة الأثنوجرافية والتنظير بشأنها.

فقد افترض آكوستا أنّ الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلاً من آسيا إلى أمريكا، وبذلك فسّر اختلاف حضاراتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك. وقدّم آكوستا أيضاً افتراضاً آخر حول تطوّر الحضارة الإنسانية عبر مراحل معيّنة، معتمداً في تصنيفه على أساس معرفة الشعوب القراءة والكتابة. حيث جاءت أوروبا في أعلى الترتيب، وأتت بعدها الصين في المرتبة الثانية لمعرفتها الكتابة، بينما جاءت المكسيك في مرتبة أدنى من ذلك .. وصنّفت المجتمعات الأخرى بدرجات متباينة في المواقع الأدنى من هذا الترتيب. وربّما شكّل هذا التصنيف أساساً استند إليه الأنثروبولوجيون – فيما بعد– للتمييز بين المجتمعات .

وهو نفس الاتجاه الذي ساد في ألمانيا، فقد تبلور الفكر في عصر التنوير، عن التفوّق العنصري والنزعة القوميّة (التعصبيّة). وظهر ذلك واضحاً في كتابات كلّ من / جورج هيجل *(1770-1831)* وجوهان فخته *(1762-1814)*، حيث جعلا الشعب الألماني، الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم .

أمّا كتابات جوهان هيردر *(1744-1803)* فجاءت لتعزّز فكرة التمايز بين السلالات البشرية من ناحية التركيب الجسمي، والتفاوت فيما بينها بمدى التأثّر بمظاهر المدنية، وفي تمثّلها لمقوّمات الحضارة. وعلى هذا الأساس، يذهب هيردر إلى أنّ ثمّة سلالات بشرية خلقت للرقي، وسلالات أخرى قضي عليها بالتأخّر والانحطاط .

لكن هذا الاتجاه العنصري في الدراسات الأنثربولوجية، واجه انتقادات كبيرة في بداية القرن العشرين ، حيث برزت فكرة أنّه لا يجوز أن تتّخذ اللغة كأساس أو دليل على الانتماء إلى أصل سلالي واحد، وأنّ العلاقة بين الجنس البشري واللغة، لا يجوز أن تكون أساساً لتقسيم الشعوب الإنسانية إلى سلالات متمايزة. وقد نقض ذلك ودحضه، فيما بعد، الفكر الأنثروبولوجي القائم على المشاهدة الواقعية، والدراسة الميدانية المقارنة لمجتمعات الشعوب الأخرى .

وتأسيساً على ما تقدّم، يمكن القول : إنّ الفكر الأنثروبولوجي الذي ساد أوروبا في عصر التنوير،

وتجلّى في كتابات العديد من الفلاسفة والباحثين والمؤرّخين، شكّل الملامح النظرية الأولى لعلم الأنثروبولوجيا، الذي بدأ يستقل بذاته مع بدايات القرن العشرين، ويتبلور بمنطلقاته وأهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته[17].

نشاة الانثروبولوجيا :

من علم الاجتماع الى الانثروبولوجيا :

لقد كان لعلماء الاجتماع خاصة في فرنسا اثر كبير في التمهيد لنشأة الانثروبولوجيا ، منذ بداية القرن السادس عشر وهو القرن الذي عرف بداية انفتاح الاوربي على الشعوب البعيدة الغير اوربية .

فهذا عالم الاجتماع الفرنسي، ميشيل دي مونتاني *M.De. Montaigne* الذي عاش ما بين *(1532-1592)* كان قد اهتم بإجراء مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوربا. وبعد إن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلية، خرج بالمقولة التالية : " إنّه لكي يفهم العالم فهماً جيّداً، لا بدّ من دراسة التنوّع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوّع " ويكون بذلك قد طرح فكرة (النسبية الأخلاقية).

وممّا قاله في هذا الإطار ما كتبه في مقاله الشهير عن " أكلة لحوم البشر " وجاء فيه : " يبدو أنّ ليس لدينا أي معيار للحقيقة والصواب، إلاّ في إطار ما نجده سائداً من آراء وعادات على الأرض التي نعيش عليها (أوروبا)، حيث نعتقد بوجود أكمل الديانات، وأكثر الطرائق فاعلية في الحصول على الأشياء .

إنّ هؤلاء الناس (أكلة لحوم البشر) فطريون / طبيعيون، مثل الفاكهة البريّة. فقد بقوا على حالهم البسيطة، كما شكّلتهم الطبيعة بطريقتها الخاصة، وتحكّمت فيهم قوانينها وسيّرتهم ." ومن هذه الرؤية، لاقى كتابه الشهير " المقالات " الصادر عام *1579* ، اهتماماً كبيراً لدى مؤرخي الفكر الأوروبي عامة، والفكر الفرنسي خاصة.

---

[17] عيسى **الشماس ، المرجع السابق ، ص 27- 31.**

ويأتي القرن الثامن عشر، ليحمل معه كتابات جان جاك روسو *J.J. Rossow* التي احتلّت أهميّة كبيرة لدى مؤرّخي علم الأنثروبولوجيا، وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الأثنوجرافية للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية / الأوروبية .

لقد تميّزت وجهة النظر الأنثروبولوجية عند روسّو بالتجرّد والموضوعية، حيث تجلّى ذلك في نقد بعض القيم والجوانب الثقافية في مجتمعه الفرنسي، مقابل استحسان بعض الطرائق الحياتية في المجتمعات الأخرى. وفي هذا الإطار، يعدّ كتابه " العقد الاجتماعي" من البواكير الأولى للفكر الأنثروبولوجي.

وكان إلى جانب روسّو، البارون دي مونتسكييه، الذي وضع كتاب (روح القوانين) وأوضح فيه فكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة. وسادت هذه الفكرة الترابطية في أعمال الأنثروبولوجين في أوائل القرن العشرين، ولا سيّما عند الأنثروبولوجيين الإنجليز، حيث انتقل اهتمام مونتسكييه بدراسة النظم السياسية، وتأثير المناخ على نوعيّة الحضارة أو الثقافة – فيما بعد – إلى الكتابات الأنثروبولوجية، وشكّل مجالاً واسعاً للدراسات الأنثروبولوجية[18] .

ويعد سان سيمون *saint simon (1760-1825)* بحق أول من فكر في ضرورة إنشاء علم يدرس المجتمع يقوم على العلاقات الاجتماعية كما نبه إلى ضرورة دراسة الوقائع والحقائق *social facts* كما هي وليس التصورات عنها[19] .

وهي دعوة الى الاهتمام بالدراسات الميدانية والحقلية عكس ما كان عليه كثير من علماء نهاية القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر الذين عرفوا **بعلماء المقاعد الوتيرة** *amchair anthropologists* نظرا لعدم قيامهم بدراسة ميدانية واعتمادهم على أقوال الرحالة ورجال الإدارة من المستعمرين الأوروبيين ،هذه المرحلة التي تميزت بظهور مدرسة النشوء والتطور وكان يبحث أصحابها عن نشأة وتطور النظم الاجتماعية كالأسرة والدين وقد أثارت نتائج الدراسات التي قام بها أصحاب هذه المدرسة الكثير من التعليقات من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية اللاحقين وذلك بسبب صعوبة

---

[18] عيسى **الشماس** ، **المرجع السابق** ،ص**30**

[19] نخبة من اعضاء هيئة التدريس: **مدخل الى الانثروبولوجيا** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2011 ، ص16.

دراسة الأصول والبدائيات الأولى واهتمام العلماء الآن بالبحث عن وظيفة النظم الاجتماعية و الأدوار التي تقوم بها وتأثيرها في البناء الإجتماعي[20] .

وفي نهاية القرن التاسع عشر نمت مدرسة في علم الاجتماع في (فرنسا) فأثرت تأثيرا بالغا على الرواد من علماء الأنثروبولوجيا (البريطانيين) في مطلع القرن العشرين وجعلتهم يوجهون اهتمامهم كله لدراسة المجتمعات المعاصرة (الصناعية) في تلك الفترة ، مبتعدين تدريجيا عن علمي الآثار والأنثروبولوجيا الطبيعية ، الذين كانا يعتبران ، حتى ذلك الوقت جزئين مكملين للأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وكان يقود تلك المدرسة عالم الاجتماع (الفرنسي) (اميل دوركهايم) *(1858-1918)* ونشرت كثير من الدراسات الهامة لتلك المدرسة في مجلة (*l'annee sociologique*) التي بدأت تلك المدرسة بإصدارها عام *(1918)* لتعبر عن أراء رجالها .

لقد ترسم (دوركهايم) خطى عالم الإجتماع البريطاني (هربرت سبنسر) بقوله أن هناك جوانب اجتماعية واقعية معينة لا يمكن أن تختزل إلى سلوك يؤديه أفراد الكائنات الحية . فالحقائق الاجتماعية يجب أن تدرس ك(أشياء) ذات وجود مستقل عن شعور أفراد الناس الذين يكونون المجتمع والحقائق الإجتماعية قواعد سلوكية أو معايير أو مستويات قيمية ، أو توقعات المجتمع من أفرادهّ ، سلوك يتفق وما يريدون وردود فعل للسلوك المنحرف ، ولذلك فهي بقدر ما يتعلق الأمر بأي شخص تعطى وتمنح فهو يجد نفسه في عالم فيه قواعد معينة وأنه سيعاقب لو خرج عليها ومما لا شك فيه أن الناس يخرجون في بعض الأحيان على القواعد ، أما بصورة متعمدة ، أو بباعث لا ارادي ، وهذا يمكن أن يسمى ، ان شئت تعبيرا عن ذواتهم ولكن القواعد نفسها لا تعبر عن ذات معينة كما أن السلوك الاجتماعي السلوك الذي يعتقد أنه مناسب لشعب معين في ظروف معينة – هو استجابة لمجموعة معقدة من الضغوط ، وليس تعبيرا عن نوع من أنواع الشخصية ، وهذا هو مبدأ التحليل الاجتماعي الذي يجد الرجل العادي من الصعب عليه أن يستوعبه ، ولكنه أمر أساسي [21].

---

[20] نفس المرجع، ص 17.

[21] **لويس مير ،المرجع السابق ، ص 36-37.**

وكان الكثير من عمل (دوركهايم) يخص (أوروبا) الصناعية ، ولكنه وجه عنايته كذلك إلى بعض مشكلات المجتمعات البسيطة ، ففي كتابة (حول التقسيم الاجتماعي للعمل) الصادر عام *(1893)* يعارض بين نوعي المتماسك الموجود في المجتمعات ذات التقسيم البسيط للعمل ، وبين تلك التي يوجد فيها تقسيم معقد للعمل فيقول : يكون التماسك (وهو مصطلح يصعب تحديد معناه ولكنه يشير إلى الطريقة التي يبقى فيها المجتمع على نفسه وحدة غير مجزأة) في النوع الأول ميكانيكيا أي أن المجتمع يبقى على وحدته يترابط وحدات " متشابهة وهو يضرب مثلا بدودة الأرض التي تعيش ككائن حي واحد ، ولكنك إذا قطعتها نصفين فإنها لا تموت ، فالرأس والذيل لا يعتمد أحدهما على الآخر عضويا وحيث يكون تقسيم العمل معقدا ف " التماسك عضوي" فأنت لا تستطيع تقسيم المجتمع إلى أجزاء مستقلة بل أنك لا تستطيع حتى أن تتصور كيف يعمل المجتمع إذا قسم فتماسك مثل هذه المجتمعات هو نتيجة لروابط بين وحدات " مكملة" يتم بعضها بعضا ، فالتماسك بين الأخوة ميكانيكي في حين أنه بين الزوج والزوجة عضوي ، فالأخوة مصالح " متشابهة " باشتراكهم في الميراث ويجب عليهم أن يوحدوا جهودهم في الدفاع عن حقوقهم على أن الأخوة حين يكبرون يستطيع بعضهم أن ينفصل عن البعض الآخر ، ويكونوا عوائل مختلفة ، وهم غالبا ما يفعلون ذلك في واقع الأمر ، ولكن الانسان لا يستطيع أن يفهم العائلة بمعزل عن التعاون بين الزوج والزوجة .

وفي كتابه (الأشكال البدائية للحياة الدينية) الذي أصدره عام *(1912)* يستعمل (دوركهايم) نتائج دراسات ميدانية جرت بين (الأستراليين الأصليين) .

ويحذو (دوركهايم) حذو (روبرتسن –سميث) في التوكيد على أهمية الطقوس ويقول أن الطقوس تعكس النظام السائد في المجتمع – إنه تجسيد لقواعد السلوك والقيم التي يتمسك بها المجتمع إلى حد كبير فالطقوس الدورية تجمع أفراد المجتمع في جو مشحون بالعواطف وبذلك تفرض عليهم إعتماد بعضهم على بعض وتؤكد أهمية الابقاء على قواعد المجتمع وقيمه ورغم أن معظم الأنثربولوجيين المعاصرين قد يقولون أن هذا المدخل لا يلم بدراسة الذين كلها ، فإنه رغم ذلك يلفت الاهتمام إلى جانب فيه كان مهملا حتى ذلك الوقت ، وأن على بعض وتؤكد أهمية الإبقاء على قواعد المجتمع وقيمه ورغم أن معظم الأنثروبولوجيين المعاصرين قد يقولون أن هذا المدخل لا يلم بدراسة الدين كلها ،

فإنه رغم ذلك يلفت الاهتمام إلى جانب فيه كان مهملا حتى ذلك الوقت ، وأن على كل دارس ميداني أن يبحث عن تلك الجوانب الطقسية في الدين وهي كثيرة التي ترمز إلى العلائق الاجتماعية .

ومن معاصري (دوركهايم) الذين ما يزال الأنثربولوجيون الاجتماعيون يقرأون كتبهم كثيرا (مارسيل موس) (الذي كتب حول تبادل الهدايا وعن العلاقة الاجتماعية التي ندعوها الآن مقابل بالمثل) و (فان كينيب) (الذي كتب حول الأنواع المختلفة للطقوس) وغيرهم كثير. وكان خليفتها في الجيل الحاضر (ليفي – ستراوس) فقد طور مفهوم المقابلة التي أبرزها (مالينوفسكي) في عمله الميداني بين (سكان جزر تروبرياند) باعتبارها العنصر الأساسي في البناء الاجتماعي.

لقد أثر علماء الاجتماع (الفرنسيين) بالغ الاثر في افكار مؤسسي الانثروبولوجيا المعاصرة منذ بداية القرن العشرين من امثال (كلود ليفي ستراوس) في فرنسا المؤسس الحقيقي للمدرسة البنائية لاحقا وعالمي الأنثروبولوجيا (البريطانيين) البارزين في القرن العشرين (ب.مالينوفسكي) و (راد كليف براون) الذين تكون نظرياتهما جزءا هاما في الهيكل الفكري للأنثريولوجيا المعاصرة وتعالج بنجاح المشكلات القائمة ونظريات (مالينوفسكي) تعتمد على علم النفس أكثر من اعتماد نظريات (رداكليف – براون) عليه في حين (راد كليف–براون) الذي يعتبر مفهوم البناء الاجتماعي مفهوما أساسيا يتعقب عن قرب شديد خطى (دوركهايم) .

وحين ألقى الأنثروبولوجيون شباكهم بعيدا ، فدرسوا مجتمعات كبيرة الحجم وكان عليهم أن يقارنوا بين المجتمعات غير الصناعية المعاصرة وتلك التي تتوافر عنها وثائق تاريخية ، فقد بحثوا عن الهام من كتاب عالجوا المادة التاريخية من وجهة نظر اجتماعية ، وكان أبرز من لجأوا اليه هو (ماكس فيبر) (*1864 – 1920*) الذي كان قد عالج مجتمعات ذات انساق سياسية ذات نظم سياسية فيها حكومات متطورة[22]

الانثروبولوجيا التقليدية / الموضوع والهدف:

لقد ارتبطت الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في نشأتها المبكرة تمايزها عن غيرها من العلوم الاجتماعية وبخاصة علم الاجتماع بدراسة المجتمعات التقليدية وبخاصة ما كان يعرف منها بالمجتمعات

---

[22] **لويس مير : المرجع السابق ، ص37–38.**

البدائية *Sociétés primitives* ، هذه المجتمعات التي يعتقد انها تمثل الحالة الأولى للمجتمع الإنساني او هي أقرب المجتمعات الإنسانية للحياة الاجتماعية الأولى التي لا تعرف عنها إلا الافتراضات والتصورات ، وهناك من يقترح اصطلاح (المجتمعات شبه البدائية) التي يعتقد انها تعيش على طبيعتها الانسانية الاولى ولم تتأثر بمجتمعات المدينة التي قد تفقدها خصائصها.

والمجتمع (البدائي) او ما يطلق عليه احيانا أخرى اصطلاح (شبه البدائي) يمكن تحديد وتلخيص خصائصه فيما يأتي :

– صغر الحجم بحيث يستطيع كل بالغ فيه معرفة كل أفراد المجتمع – يتكون من نوع واحد من الناس أي أفراد متشابهون *homogènes* .

. –عدم معرفة القراءة والكتابة مع وجود لغة كلامية

– يتمتع أفراده بشعور قوي بالتماسك الجماعي .

–تعيش المجتمعات البدائية في عزلة أو شبة عزلة فلا توجد روابط أو اتصالات فيما بينهما

– يعرف كل عضو في المجتمع قدر متساوي من المعرفة ويمارس كل الفنون المعروفة ولديه نفس الرغبات والخبرات

– نظام القرابة هو أساس البناء الاجتماعي وفي الغالب يتكون المجتمع البدائي من مجموعة من الأقارب .

– تنقسم العلاقات الاجتماعية إلى أنماط على أساس الاختلافات بين أفراد المجتمع من حيث النوع أي انقسامهم البيولوجي إلا ذكور وإناث ومن حيث السن أي انقسامهم إلى أطفال وشباب وكهول وشيوخ ، ومن حيث مراكزهم في النظام العائلي أي انقسامهم إلى آباء وأمهات وأبناء وبنات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وما إلى ذلك .

– يتعاون أفراده للحصول على الطعام ولتوفير المأوى وللدفاع عن المجتمع أو أي فرد فيه – دوافع العمل وتبادل الجهد والأشياء ولا تنتمي إلى الدوافع الاقتصادية و إنما تنشأ عن التقاليد أو عن الشعور بالمسؤولية قائم على أساس (مركز) الفرد في المجتمع أو عن علاقات قرابية أو عن اعتبارات دينية وأخلاقية ، وهكذا لا يهدف الفرد في المجتمع البدائي إلى حماية مصالحه الشخصية عن طريق تملك

الأشياء وإنما يمتلك الأشياء لحماية وتأكيد جوانب اجتماعية مثل مركزه الاجتماعي في القبيلة أو تقاليد وعادات معينة.

– أن التشابه أو التجانس بين أفراده الذي ذكر سابقا لا يعني أن كل فرد يفعل نفس الشيء في نفس الوقت وإنما يعني أن يحترم الجميع تقاليد واحدة وأن يكون لديهم فهم واحد للحياة الصالحة ، لاشك أنهم يقومون بنفس الأعمال ويتعبدون ويتزوجون ويشعرون بالخجل أو الفخر بنفس الطريقة تحت ظروف مشابهة ، ولكنهم في زمن محدد من اليوم الواحد يقومون بأعمال مختلفة فنجد بعض النساء يجمعن الثمار وبعض الرجال قد خرجوا في رحلة صيد ، ومجموعة أخرى من الرجال تشن غارة على مجتمع آخر بينما تبقى مجموعة ثالثة بالمسكن لتّأدية طقوس النصر – يوجد نوع من الاكتفاء الذاتي في حياتهم الاقتصادية – تقابل صورة واحدة للتخصص في الوظيفة ، وهي القائمة على أساس الاختلافات في النوع والسن ومركز الفرد في النظام القرابى – عمليات الضبط الاجتماعي هي عمليات غير رسمية *informal* وتقوم على أساس التقاليد وما تفرضه من واجبات ويعبر عنها عن طريق الكلام أو الإشارات أو أنماط أعمال متفق عليها[23].

– النظام السياسي بسيط ومحدود وفي معظم الأحيان يسود المجتمع اعتقاد قوي من الأشياء المقدسة – ينشأ الشعور بالخطأ أو الصواب من جذور لا شعورية جماعية ولذلك فهو شعور قوي وجبري غير خاضع لمنطق الفرد .

– أن النظام الأساسي الذي يربط أفراد المجتمع مما هو النظام الأخلاقي أي القائم على أساس مفاهيم أخلاقية خاصة بالواجب والخير القوى الغيبية ومصلحة الجماعة (حسب فهم كل مجتمع) ، وتكون تلك المفاهيم أقوى من المفاهيم القائمة على أساس المصلحة الشخصية والماديات.

– المعرفة عملية بمعنى لا يوجد علم (نظري) بالمعنى الحديث.

– المجتمع البدائي بسيط من الناحية التكنولوجية وقد يكون معقدا في نظمه الاجتماعية وفلسفاته.

---

[23] عاطف وصفي: **الانثروبولوجيا الاجتماعية** ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان ، (د.سنة طباعة)، ص60.

– لا توجد " مدنية " بالمجتمعات البدائية أي لا توجد مدن وما يصاحبها من نظم تكنولوجية واجتماعية .

أعود فأكرر أن هذه الخصائص تنتمي إلى " نموذج " للمجتمع البدائي ، أي أن المجتمعات البدائية الواقعية لا يجمع الواحد منها كل تلك الخصائص وإنما أغلبها ، وقد لا نجد تلك الخصائص بصورتها النقية المعروضة هنا وإنما يشوبها صفات أخرى ومن هنا جاءت أهمية الدراسة الميدانية للمجتمعات البدائية[24] .

ان ارتباط الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في نشأتها المبكرة و تمايزها عن غيرها من العلوم الاجتماعية الاخرى بدراسة المجتمعات التقليدية وبخاصة المجتمعات البدائية فرضته ضرورات تاريخية ومنهجية وتطبيقية ، تتمثل فيما يلي :

1 -كانت مصادر المعلومات التي أقام عليها الأنثروبولوجيون الأوائل تحليلاتهم التطورية أو المقاورنة تتمثل في الغالب في كتابات الرحالة والمبشرين ورجال الإدارة الذين عاشوا في مناطق المستعمرات ، وبخاصة بين الشعوب الإفريقية التي كانت تستهويهم فيها شعائر وطقوس وعادات الرجل الأبيض أو الثقافة الغربية ، ولم تتوفر في البداية الدراسات الأنثروبولوجية الوصفية حول التجمعات الريفية الحضرية الصناعية في تلك المناطق [25].

2 -أحس الأنثربولويجون الأوائل كما لا يزال علماء الأنثروبولوجيا يشعرون بأن هناك ثمة ضرورة في البدء بدراسة تلك المجتمعات والبدائية أو التقليدية إلى انفتحت مؤخرا على العالم الخارجي ، وهي واقعية بالضرورة تحت وطأة الثقافة الغربية الصناعية التي تفرض نظما جديدة وطرفا في العمل والسلوك قد تتناقض مع النظم والطرق التقليدية والمستقرة – وقد تؤدي إلى تدميرها – مما يترتب عليه في النهاية هدم أسس التماسك الاجتماعي في تلك المجتمعات – أو تغيير بنيتها المتمايزة وتحولها إلى مجتمعات جديدة ذات نظم ومعايير مغايرة تماما لنظمها ومعاييرها التقليدية ، ولهذا كله

---

[24] **نفس المرجع ، ص 61.**

[25] محمد عبده محجوب، المرجع السابق، ص 37.

فقد كان على الباحثين الأنثروبولوجيون أن يسرعوا في تسجيل ملامح الحياة في تلك المجتمعات وحفظها للأجيال القادمة كنوع من التاريخ الاجتماعي الذي يفيد في دراسات التطور والتغير .

3 -كذلك فقد كانت هناك ضرورى منهجية أدت إلى التركيز على دراسة تلك المجتمعات البدائية أو التقليدية وتتعلق هذه الضرورة بالمنهج المميز للأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية وبخاصة في اتجاهاتها البنائية والوظيفية التي تطبق الطريقة التكاملية الشاملة في دراسة المجتمع والثقافة ، بحيث يفرض على الباحث الذي يتوفر على دراسة نظام اجتماعي أو مشكلة معينة في مجتمع معين أن يأخذ في الاعتبار كل علاقات التكامل والتساند المعقدة التي تربط بينه وبين الظلم الاجتماعية الأخرى التي تكون بنية المجتمع [26].

4 -وبجانب تلك الضرورات التاريخية والمنهجية – التي دفعت علماء الأنثروبولوجيا إلى الاهتمام بتلك المجتمعات البدائية والتقليدية – كانت هناك ضرورات تطبيقية نشأت بدخول مشروعات التنمية والتصنيع في تلك المجتمعات سواء بغرض استقلال مواردها الاقتصادية البكر، أو من خلال عمليات التحضر والتحديث التي تتعرض لها .. حيث يواجه رجال الإدارة مشكلات تتعلق بتكيف كأنها مع تلك المشروعات الجديدة التي تفرض على أسلوب توائمهم الإيكولوجي التقليدي أو تكوينهم الديموجرافي أو حياتهم الاقتصادية وبخاصة حين يكون هؤلاء الرجال حريصين على ضرورة استعجال هذا التكيف للقضاء على المشكلات التي تعطل سير العمل في تلك المشروعات العمرانية أو الاقتصادية بأقصى درجة من الكفاية .

ولكننا نجد في الوقت الحاضر تحولا في هذا الاهتمام الأنثروبولوجي المميز بالمجتمعات البدائية فقد تقلص اهتمام علماء الأنثروبولوجيا في الوقت الحاضر بتلك المشكلات التقليدية في الأنماط المجتمعية البدائية – كدراسة الحياة الجذرية والطقوس والمعتقدات الطوطية – إلى الاهتمام بمشكلات التحضر والتصنيع كمشكلات الهجرة ومشكلات الصراع العرقي ، والتلاقح الثقافي ، ومشكلات التنمية الاجتماعية ومشكلات التربية واستثمار أوقات الفراغ ، وغيرها من

---

[26] المرجع نفسه، ص 38.

الموضوعات الهامة التي يشترك علماء الأنثروبولوجيا في العناية بها مع المختصين في الدراسا السكانية والتصنيع والتخطيط العمراني و الإعلام وغيرها .

وحيث يشارك علماء الأنثروبولوجيا المعاصرون في اهتمامات علماء السكان والتخطيط العمراني والاقتصاد والسياسة واللغة وغيرها من التخصصات ، فلا شك في تمايز التحليل الأنثروبولوجي بصورة أخرى . وهو ما تبين عنه

كتابات العالم الأنثروبولوجي الأمريكي الشهير كروبير – الذي يعتبر عمدة علماء الأنثروبولوجيا في عصره – وهو يرى أن الواضح أنه مهما كانت الصورة التي تتمايز فيها الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم الإنسانية هي غالبا ما تكون في أسلوب معالجتها للمادة العلمية التي يتوفر علماء الأنثروبولوجيا على تحليلها ، حيث نجد الأنثروبولوجيا علما توفيقيا يتمثل في معطيات علوم متمايزة ، وفي مجال التعريف بهذا الأسلوب المتمايز للمعالجة الأنثروبولوجيا يقول كروبير أن العلماء الأنثروبولوجيا لن يعرفوا مثلا الصين بالصورة المركزة التي يعرفها بها العلماء المختصون بدراسة اللغة والأدب والتاريخ والثقافة الصينية ، وهم أيضا أن يعرفوا نظم السعر أو الودائع أو النظام المصرفي بنفس الصورة التي يعرفها بها عالم الاقتصاد كما أنهم لن يعرفوا الوراثة بالصورة الشاملة التي يعرفها علماء بيولوجيا الوراثة ، ولكننا بمواجهة فيما يتجه إليه العلماء الأكثر تركيزا من بحوث متعمقة – وبصورة مركزة ومباشرة وجزئية – وبمحاولة أن نفهم بمقاييس معنية كيفية ارتباط الحضارة الصينية والاقتصادية والوراثية البشرية – وغيرها من التخصصات العديدة الأخرى – بالإنسان وكيفية صدور تلك التخصصات المتعددة عن الإنسان وتمركزها حوله[27].

[27] محمد عبده محجوب، المرجع السابق ، ص 39-40.